

منزلة العقل في تلقي أمور الدين

الحمد لله كما أمر، والصلاة والسلام على خير البشر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وذريته ومن سار على الأثر.

أما بعد...

١- ما هو العقل؟

✽ العقل هو ما أعطاه الله لبني آدم يميزهم به عن سائر البهائم يميزون به الحسن من القبيح.

٢- ما فائدة العقل؟

✽ قال الأصمعي: العقل هو الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن. [المخصص لابن سيده ٢٥٠/١ وعمدة القاري لبدر الدين العيني ٣/٢٧٠ وإحياء علوم الدين للغزالي ١/٧٥ والأذكياء لابن الجوزي ١٣ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٩/٢٨٧]

- قال الله تعالى عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]

✽ فالله تعالى أنكر عليهم أنهم لم يستفيدوا من عقولهم، ولم يميزوا بها ما ينفعهم في الآخرة، فاستحقوا أن يكونوا من أصحاب النار.

منزلة العقل في تلقي أمور الدين

كتبه وأعدده

د. محمد أشرف صلاح حجازي

١٤٣٢هـ / ٢٠١٢م

حقوق الطبع والتوزيع والنقل محفوظة لكل مسلم ومسلمة
للمساعدة في التوزيع الخيري اتصل على ٠٠٢٠١١١٣٣٨٣٣٨٩

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

للاقتراحات أرسل على البريد الإلكتروني

anamuslim@windowslive.com

لمزيد من الكتب:

www.Iam-muslim.com

www.Iam-muslim.net

من باب « أصول العقيدة في الأسماء والصفات »

من كتاب

أنا مسلم

الجامع لعقيدة أهل السنة والجماعة

٢- والعقل السليم لا يتعارض مع النقل الصحيح:

بل إن العقل يجب أن يتبع النقل، فالنقل أصل والعقل تبع له، والنقل هو كل ما ثبت من نصوص الكتاب والسنة.

✽ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح. [مجموع الفتاوى ١٢/ ٨١]

✽ وقال شيخ الإسلام: إن العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح. [مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢٥ ومختصر الصواعق المرسله لابن القيم ٨٧]

✽ قال الإمام الشاطبي: العقل لا يُجعل حاكماً بإطلاق، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق، وهو الشرع، بل الواجب أن يقدم ما حقه التقديم، وهو الشرع، ويؤخر ما حقه التأخير وهو نظر العقل؛ لأنه لا يصح تقديم الناقص حاكماً على الكامل؛ لأنه خلاف المعقول والمنقول. [الاعتصام للشاطبي ٢/ ٣٢٥]

✽ قال الأصهباني: والعقل لا يستغنى عن توفيق الله له في كل وقت، فهو في كل وقت محتاج إلى توفيق جديد، تفضلاً وكرماً من الله سبحانه وتعالى، ونفس العقل بالتوفيق كان. [الحجة في بيان المحجة ١/ ٣١٩]

✽ إن العقل السليم لا يمكن بحال أن يصطدم أو يتعارض مع ما جاء به النقل الصحيح، بل إن العقل يشهد للنقل ويؤيده؛ لأن الذي خلق العقل هو الله تعالى، وهو الذي أرسل إليه النقل، وجعله متفقاً مع العقل، وجعله صالحاً له في كل زمان ومكان؛ ولأن الإنسان صنعة خالقه وهو تعالى أعلم بصنعيته وبما يصلحه،

فإذا وَضَعَ رَبُّ الْعِبَادِ نِظَامًا فَيَبَالِغُ حِكْمَتَهُ وَعِلْمَهُ وَلِصْلَاحِ صِنْعَتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المالك: ١٤]

✽ وإذا أَلْزَمَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِمَنْهَجِهِ وَشَرْعِهِ، كَانَ مِنَ الْمَحَالِ أَنْ يَضِلُّوا أَوْ يَشْقُوا، أَوْ يَعِيشُوا مَعِيشَةً ضَنْكًا، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [١١٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]

ومعلوم بالضرورة أن أولى من يضع نظام التشغيل للمصنوعات - والله المثل الأعلى - هو صانعيها.

٤- أسباب تعارض العقل مع النقل:

إنه لو حدث تعارض بين العقل والنقل، فإن ذلك مرجعه لأحد سببين:

أولاً: إما أن النقل لم يثبت

كالأحاديث الضعيفة أو الموضوعية، فمن نقلها للناس دون تمحيص أحدث حالة من التعارض بين العقل والدليل الخاطئ.

ثانياً: وإما أن العقل لم يفهم النقل

ولم يدرك مراد الله ولا معنى كلام رسوله ﷺ على النحو الصحيح، كما شكك بعض المستشرقين في الأحاديث الصحيحة كحديث الذبابة، وحديث ولوغ الكلب في الإناء.

✽ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وما أثبتته السمع الصحيح لم يفهمه

عقل صريح، وحيث فلا يجوز أن يتعارض العقل الصريح والسمع الصحيح، وإنما يظن تعارضهما من غلط في مدلولهما أو مدلول أحدهما. [درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٩]

٥- وجوب تقديم النقل على العقل:

✽ قال الأصهباني: إذا قال قائل: بُني ديننا على العقل وأمرنا باتباعه، فنقول له: أخبرنا إذا أتاك أمر من الله يخالف عقلك، فبأيها تأخذ؟ بالذي تعقل أو بالذي تؤمر؟ فإن قال: بالذي أعقل فقد أخطأ، وترك سبيل الإسلام، وإن قال: آخذ بالذي جاء من عند الله فقد ترك قوله. [الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٢١]

٦- لا يصح القياس مع النص:

✽ إن القياس إذا صادف النص وعارضه، كان قياساً باطلاً ويسمى قياساً إبليسياً؛ لأنه يتضمن معارضة الحق بالباطل؛ ولهذا كانت عقوبة إبليس أن أفسد الله عليه عقله ودينه وأخرته، وبمثل جرمه يجرم أتباعه إلى يوم القيامة فيكون مصيرهم مثل مصيره. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ وَنَاطِقَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] [مختصر الصواعق لابن القيم ١٥١]

٧- اكتمال الدين:

قال الله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

فباكتمال الدين لم يجوزنا ربنا تعالى لشيء خارج عن الدين، إذا طرأ لنا أمرٌ، واحتجنا أن نعرف حكمه ووجه المصلحة فيه، والدين هنا معناه السَّمْع أو الآيات المسموعة أو النصوص الشرعية.

٨- أهل السنة لا يلغون العقل.

وينبغي أن يُعلم هنا أنه ليس عدم اعتمادنا على العقل في الأمور الغيبية هو إلغاء للعقل بالكلية، بل إن للعقل منزلة كبيرة عند أهل السنة، فقد أجمع المسلمون على أنه لا تكليف على صبي ولا مجنون، لغياب العقل فيها، فمن فقد العقل رُفِعَ عنه التكليف. والعقل لازم لاتباع الأمر والنهي، وبالعقل يبلغ الإنسان الجنة أو النار.

✽ قال ابن خلدون: العقل ميزان صحيح، غير أنك لا تطمع أن تزن به حقائق الصفات الإلهية، وصفة الجنة والنار، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال. [المقدمة لابن خلدون ٤٦٠]

٩- الله تعالى جعل العقل لتدبر الآيات السمعية والبصرية، لا لتدبر الأمور الغيبية.

والآيات السمعية هي آيات القرآن، والآيات البصرية هي ما جعله في الأكوان تدل على أن خالقها هو الواحد الرحمن. ✽ لأن الأمور الغيبية لا تدرك بالعقل والسمع والبصر، وإنما تدرك بالوحي.

- والوحي إنما جاء بالشرع، والشرع هو الأمور الغيبية والأوامر الإلهية، فلا تجعل العقل حاكماً على الشرع، بل اجعله تابعاً للشرع.

١٠. معنى الاعتماد على العقل هو إلغاء الوحي

وهذا باطل:

- إن الأصل عند أهل السنة في دينهم هو اتباع الكتاب والسنة. * ولو كان أساس الدين على العقل والمعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، وعن الكتب، وعن الشرع، ولبطل معنى الأمر والنهي، وكان الدين هو ما تستحسنه العقول، ولجاز للمؤمنين ألا يقبلوا شيئاً حتى يعقلوه وهذا كله باطل، وكان الغيب هو ما يخترعه كل إنسان، كل بحسب هواه.

* الخلاصة: العقل لا يثبت تشريعاً، وإنما هو آلة الفهم.

١١ - شبهات المخالفين:

* قال الرازي: عند تعارض النقل والعقل، إما أن يقال بالجمع بينهما، أو بطلانها، أو بتقديم العقل.

وقال: إننا لو قدمنا النقل - في حال التعارض - على العقل، لبطل العقل وهو أصل النقل، وللزم بالتالي بطلان العقل والنقل، فتعين تقديم العقل. [أساس التقديس للرازي ١٩٣]

الرد عليه:

(١) أن تقديم العقل على النقل يتضمن القدح في العقل والنقل معاً وليس العكس؛ لأن العقل قد صدق الشرع، ومن ضرورة تصديقه له قبول خبره، أي أن العقل قد آمن بالشرع ومن ضرورات الإيمان التصديق بنصوص الشرع، فإذا جاء الشرع والوحي بما لم يفهمه العقل، وجب على العقل أن يقبله؛ لأنه إذا رده يكون قد نقض التصديق بالشرع؛ أي نقض الإيمان بالشرع،

فيكون العقل قد ناقض نفسه بتصديقه للشرع وعدم تصديقه به في وقت واحد.

(٢) وأيضاً لأن الشرع والوحي قد شهدا بأن النقل أعلم من العقل، وأن نسبة علم العقل ومعارفه إلى علم الوحي، أقل من خردلة إلى جبل، فنسبة علم العباد إلى علم الله تعالى لا شيء، ولا علم للعباد إلا بما علمهم إياه رب العباد، فكيف يُقدّم الجاهل على العالم؟! وكيف يقدم العقل العاجز على الشرع الذي أتى من عند العليم الخبير؟!

ولا يصح القول بأن العقل أصل النقل.
الرد عليه:

- إن الله تعالى موجود بالنقل، وإن جحد ذلك عقل من جحده من البشر، فكيف يكون عقلهم الفاسد أصلاً للقبول بوجود الله تعالى الذي أثبتته آيات القرآن؟ فهل يحتاج وجود الله تعالى إلى إثبات عقولهم له؟

- وإن أسماء الله وصفاته حق سواء علمناها بعقولنا أو لم نعلمها؛ فلا يتوقف إثبات صفات الله تعالى على إثبات عقول البشر لها، فصفات الله ثابتة وإن لم تثبت عقول البشر، بل صفاته تعالى ثابتة قبل أن يوجد البشر أصلاً.

- وإن رسول الله ﷺ حق وإن كذب بنبوته عقل من كذبه، وإن كذب كلامه من كذبه.

فإن كان لا يتوقف إثبات النص على قبول العقل، فكيف يكون العقل أصلاً للنقل؟ وبهذا بطل كلام الرازي كله ومن كان على مذهبه من المعتزلة والمتكلمين والحمد لله رب العالمين.

١٢- إبليس أول من عارض النقل:

- إبليس هو مؤسس مدرسة معارضة العقل للنص وتقديم العقل على النقل.
إن تقديم العقل على النقل هو سبيل (إبليس)، فهو أول من عارض النقل بالعقل، وذلك أن الله تعالى عندما أمره بالسجود لآدم، عارض أمره بقياس عقلي مركب من **مقدمتين** هما: قوله **﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾**، وقوله **﴿خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾**، وكانت **النتيجة** لديه وعلى مذهبه: (إن خير المخلوقين لا يسجد للأدنى منه).

✽ قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: أعلم أن أول شبهة وقعت في الخليفة: شبهة إبليس، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص. [الملل والنحل ١٦/١]

١٣- أتباع إبليس:

- أولهم: الجعد بن درهم الذي عارض الوحي بالرأي، فظفر به أمير العراق خالد القسري يوم الأضحى، فَضَحَّى به في أصل المنبر بعد الخطبة، وتبعه الجهم بن صفوان والمعتزلة والمتكلمين، ثم القرامطة والباطنية الذين دعوا أتباعهم إلى اتباع العقل المجرد، وقادهم ذلك إلى الخروج على المسلمين وقتل الحُجاج واقتلاع الحجر الأسود من مكانه.

- فلينظر كل امريء من كان سلفه على هذا المذهب الباطل، وهل وصفوا في التاريخ بالديانة أم بالخيانة؟

١٤- من أي هذه العقول المنحرفة تأخذ ديننا؟

على أن أرباب هذه الطريقة المنحرفة بتقديم العقل على النقل، ومن تأثر بهم من الفلاسفة وفرق الشيعة والخوارج والمعتزلة وطوائف أهل الكلام، جميعهم مضطربون في تحديد العقل الذي يعارض النقل أشد الاضطراب، **وكل منهم يدعي أن صريح العقل معه** وأن مخالفه قد خرج عن صريح العقل.
ونحن نصدقهم جميعاً عندما تُبطل كل فرقة منهم عقل الفرقة الأخرى، فتصبح كل عقولهم باطلة.

✽ قال ابن القيم: بعقل من منكم يوزن كلام الله ورسوله ﷺ أعقل أرسطو أم عقل أفلاطون أم ابن سينا أم الجعد أم جهم أم النظام أم العلاف أم الجبائي أم بشر المريسي أم فخر الدين الرازي - وقد هداه الله تعالى ورجع عما كان عليه - [مختصر الصواعق ٩٦، ١٧٠]

١٥- طريقة أهل البدع:

- طريقة أهل البدع أن يبحثوا في الآيات والأحاديث حتى يجدوا ما يؤيد رأيهم ويدعم بدعتهم، ولو بتعسف.
- فإن كانت الأدلة على ما يخالف مذهبهم، أوَّلوا الآيات والأحاديث تأويلاً لا تحتمله النصوص، أو قاموا برد الأحاديث الصحيحة بزعم أنها من رواية الآحاد، وأنها بذلك الدلالة لا تفيد اليقين، وقالوا إن عقولهم المريضة هي القواطع التي يجب إلغاء ما يخالفها.

✽ الرد عليهم :

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانفَعُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]

١٦- لقد كان لكم في إمامكم أسوة حسنة:

- فقد ترك الإمام أبو الحسن الأشعري سبيل المعتزلة والمتكلمين من الخلف وسلك سبيل السلف وعلى رأسهم إمام أهل السنة، الإمام أحمد بن حنبل ودون ذلك في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) و(مقالات الإسلاميين) و(رسالة إلى أهل الثغر).

- وذكر فيها أدلة العقل على وجوب تقديم النقل.

- فهل لكم في إمامكم أسوة حسنة؟ فإن اتبعتموه فاتبعوه في كل أمره، وإلا فهل أذن هو لكم أن تأخذوا بعض قوله وتردوا عليه بعضه؟

مصدر تلقي العقيدة عند أهل السنة

هو الكتاب والسنة

١- فأهل السنة يأخذون عقيدتهم من نصوص الكتاب والسنة:

✽ الأخذ بالقرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فيه وجوب الإيمان بما وصف الله به نفسه؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، قال الله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]

✽ الأخذ بالسنة: وهو:

الإيمان بما وصفه به رسوله ﷺ؛ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال الله في حقه ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]

٢- وأما الفلاسفة ومن تبعهم فإنهم يقولون إن العقل هو مصدر التلقي:

بغير الرجوع إلى الرسول والرسالة.

ونرد عليهم.

بأن عقل المعتزلي غير عقل الأشعري، غير عقل الجهمي، غير عقل الفيلسوف، فعن أي هذه العقول يأخذ الناس دينهم؟ وكلها عقول ناقصة ومتناقضة وملؤها الأهواء.

٣- والفلاسفة طعنوا في أحاديث الآحاد:

وأهل السنة يقولون إن الحديث الصحيح حُجَّةٌ بنفسه في العقائد والأحكام، وإن كان حديث آحاد، طالما ثبت عن رسول الله ﷺ.

٤- عادة البشر أن يتقبلوا تلقي الأوامر من خالقهم ولا يتقبلوا تلقيها من بشر مثلهم:

✽ من المعلوم أن البشر لا يتقون في أقوال بشر مثلهم، وبخاصة إذا كان ما يخبرون عنه من الأمور الغيبية التي لا تدركها عقولهم كالجنة والنار والملائكة، أو إذا كانت تشريعات يستحسنون بعضها ويرفضون البعض الآخر لاختلاف عقولهم وأهوائهم في تقديرها. ✽ أما إذا أخبر عن هذه الغيبات خالقها وعالمها ﷺ، وإذا أمر الخالق بالتشريعات التي تصلح حياة المخلوقين، فهو مالك البشر ﷺ وكل أوامره نابعة من الحكمة والانتقان، والعدل والإحسان. ✽ فإن النفوس تؤمن بتلك الأخبار الغيبية والأوامر الإلهية، وتثق فيها، وتدعن وتخضع لها، وتهتدي بها، وتسكن لها، ما لا تفعله لأقوال غيره من المخلوقين.

٥- نصوص القرآن تيسر على المخلوق معرفة الخالق:

أما نصوص الفلاسفة فإنها تعسر على الناس وتتهمهم بالجهل. ✽ إن الأسلوب القرآني في إثبات الأسماء والصفات يمتاز بالسهولة واليسر والبساطة والوضوح، أما طريقة الفلاسفة فهي مليئة بالشبهات والشكوك، وأنت لا تستطيع تمييز الحق من خلال هذا الكم الهائل من الشبهات والمعارضات، فيخرج الدارس لهذا

العلم الفلسفي بالشك والحيرة بدلاً من الإيمان واليقين.

✽ ومن هنا نص العلماء على أنه: « لا يجوز مخاصمة أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم؛ لأن في ذلك دعوة إلى الباطل، وتليبس الحق، وإفساد دين الإسلام. » [شرح الطحاوية ٣٥١ بتصريف] يقصد بأهل الأهواء الفلاسفة ومن شابههم.

٦- صفة الرحمة بين الأشاعرة وأهل السنة:

فالأشاعرة مثلاً ردوا صفة الرحمة بعقولهم زعمًا منهم أنها لا تليق بالله؛ لأن الرحمة عندهم قرينة الضعف والعجز. - وأهل السنة يثبتون صفة الرحمة التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وأثبتها له رسول الله ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف: ٥٨] فهو الذي يرحم كل من سواه، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء وفي هذا غاية الكمال والقدرة، وليس في هذا ضعف أبداً، فكيف يتبع أحد هذه العقول المريضة؟ - وأهل السنة يقولون إن رحمة الله غير رحمة المخلوقين، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]

٧- أصل الفلسفة عند أصحابها هو التشبه بالإله على قدر الطاقة:

والفلاسفة يجعلون هذا غاية الحكمة ونهاية الكمال الإنساني، ويؤيدون هذا بما ينسبونه للرسول ﷺ من قوله: « تخلقوا بأخلاق الله »

وهذا الحديث باطل رواية ودراية، أما الرواية فليس لهذا الحديث أصل في كتب السنة، وأما الدراية فإن صفات الله لا تسمى أخلاقاً.

❁ ثم إن بعض الصفات لا يجوز الاتصاف بها كالجبروت والعظمة والكبرياء.

❁ وأيضًا كيف يدعو الفلاسفة إلى التشبه بصفات الباري، وهم الذين يجتهدون كل الاجتهاد في نفي صفاته تعالى عنه بزعم أنها تشبه صفات المخلوقين، أليس في هذا تناقض؟

٨- اتفاق أهل السنة واختلاف أهل البدعة:

❁ أهل السنة يتلقون دينهم من مصدر واحد، لذلك هم مجتمعون عليه.

❁ وأهل البدعة يتلقون دينهم من مصادر شتى، لذلك يختلفون باختلافها.

❁ أما أهل الفلسفة فإن مصادرهم تتفاوت بقدر تفاوت عقولهم، وتتعدد بقدر تعدد أهوائهم؛ لذلك هم يختلفون ويتناقضون، ولا يتفقون على شيء أبدًا.

❁ إن أصحاب علم الكلام أكثر الناس انتقالًا من قول إلى قول، وتراهم يجزمون بالقول في موضع، ويجزمون بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل على عدم يقينهم بقولهم.

ولذا فإن أصحاب علم الكلام كثير النزاع والاختلاف، والفلاسفة أكثر منهم اختلافًا ونزاعًا.

- وبسبب كثرة تناقضهم واختلافهم تراهم يكفّر بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض، بخلاف أهل السنة.

❁ أما أهل السنة الذين يتلقون علمهم عن المصادر المعصومة (الكتاب والسنة)، فإن منهجهم يصدق بعضه بعضًا؛ لأن مصدره معصوم، ونصوص الكتاب والسنة يصدق بعضها بعضًا، فأصولها تؤيد بعضها، وفروعها تشرح أصولها وتفصلها.

❁ قال الاسفاريني: « أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضًا، وليس بينهم خلاف يوجب التبري والتكفير، فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق، والله تعالى يحفظ الحق وأهله، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فلا يقعون في تناقض وتناذب، وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض، وتبري بعضهم من بعض كالخوارج، والروافض والقدرية، حتى إذا ما اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد افترقوا عن تكفير بعضهم بعضًا، وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كَفَّرَ بعضهم بعضًا، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ سَنَىٰ، وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ سَنَىٰ ﴾ [البقرة: ١١٣] وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] » [التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ١٨٦] ، [وقاله عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق]

عرفنا ربنا بالوحي لا بالعقل

١. فإن الله تعالى من الغيب.

فالغيب لا سبيل لمعرفة إلا بما أخبرنا به تعالى بالوحي بنوعيه الكتاب والسنة الصحيحة.

لذلك كل ما يتعلق بالله تعالى من أخبار كأسمائه وصفاته كلها يجب أن تكون **توقيفية**، لا يجوز أن نتجاوز فيها الوحي.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]

قال الله تعالى يذم الكفار: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ١٦٩]

٢. وإن الله تعالى أمر بتدبر كتابه، لا بتدبر ذاته.

فمن تدبر القرآن زاد في الإيمان، ومن تدبر ذات الرحمن كان نصيبه الخذلان؛ لأنه كلف العقل ما لا يطيق؛ لأن العقل مخلوق، والله تعالى خالقه، فكيف يطلب من المخلوق أن يحيط بخالقه؟

— وإنما أعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك

الربوبية. [الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ١/ ٣١٩]

وجوب التسليم لحكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ

* قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

* قال القاسمي: يعني: لا يستحقون اسم الإيمان في السر، حتى يجعلوك حكماً، فيما اختلف بينهم من أمور ثم لا يجدوا في قلوبهم ضيقاً مما حكمت به وينقادوا لأمرك، ويدعوا لحكمك تسليماً تاماً بظاهرهم وباطنهم من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. [محاسن التأويل ٥/ ٢٧٣]

* قال ابن القيم: وأقسم سبحانه بأنه لا يؤمن من لم يحكمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره، ثم يرضى بحكمه ولا يجد في نفسه حرجاً مما حكم به، ثم يسلم له تسليماً، وينقاد له انقياداً.

* وقال ابن القيم: فالله تعالى علق سعادة الدارين بمتابعته ﷺ، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

أقسم الله تعالى بأننا لا نؤمن حتى نُحَكِّمَ رسوله ﷺ في جميع ما شجر بيننا، وحتى تتسع صدورنا لحكمه ﷺ فلا يبقى فيها حرج من

اتباع أمره تعالى، ونسلم لحكمه ﷺ تسليمًا بلا معارضةٍ بعقلٍ ولا برأي.

✽ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾

[الشورى: ١٠]

- أخبر الله تعالى أن حكم ما تنازعنا فيه مردود إلى الله وحده، فهو الحاكم فيه، في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، فلو قَدَّمَ أحد حكم العقل على حكمه تعالى، لم يكن مُحْكَمًا لكتابه.

✽ قال الله تعالى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]

أمر الله تعالى باتباع الوحي المنزل ونهى عن مخالفته.

وأخبر سبحانه أن كتابه هدى وشفاء وبينة ورحمة ونور ومفصل وبرهان وحجة وبيان، فلو كان في العقل ما يعارضه ويجب تقديمه على القرآن، لم يكن فيه شيء من ذلك، بل كانت هذه الصفات للعقل دونه. [مختصر الصواعق المرسله ١٠٢ بتصرف].

- يعني لم يكن القرآن هدى وشفاء وبينة ورحمة ونور ومفصل وبرهان وحجة وبيان، بل كان العقل أحق بهذا من القرآن وهذا باطل.

✽ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]

- فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره تعالى وأمر رسوله ﷺ، فليس لمؤمن أن يختار شيئًا بعد أمر الله وأمر رسوله ﷺ.

- قال العلماء: **من الله الرسالت، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.**

✽ قال رسول الله ﷺ: « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا. » [صحيح مسلم ٣٤]

- والرضا بالله ربًّا هو الرضا بقضائه وقدره، وأمره ونهيه، لا يستثنى من ذلك شيئًا، ولا يظن أن الخير في خلاف قدر الله، بل يرضى ويسلم عن قناعة تامة، ويوقن أن قضاء الله خيرٌ من اختياره لنفسه في جميع أحواله.

- ولا يكون في نفسه حرج مما قضى رسوله ﷺ، ويسلم لذلك **تسليمًا تامًا** لا يتنقصه **عدم الرضا** بالقضاء أو **اعتراض** عليه، أو ظن أن غير هذا القضاء **كان أولى** منه، أو قوله لماذا يصيبني هذا القضاء بمفردي من دون الناس.

- وقالوا: **لا تسل لماذا شرع؟ ولكن سل ماذا شرع؟**

- فالله تعالى هو الذي شرع، وشرعه لطفٌ كله، وهو يعلم من خلق ويعلم ما ينفعهم، فهو سبحانه اللطيف الخبير، فيجب أن نتلقى أوامره **بالقبول والمحبة**، حتى وإن خفيت عنا الحكمة.

﴿ معرفة علت الحكم لا تلزم للإيمان بالحكم ﴾

- الله ﷻ لم يشرع الشرع لأنه يستفيد من طاعة الطائعين، أو لأنه يتضرر من معصية العاصين، بل شرع الشرع لكي يسعد الناس في الدنيا والآخرة، وهو تعالى غني عنهم وعن طاعتهم، فهو الذي خلقهم، وهو أعلم بما يصلحهم.

- وقد تظهر الحكمة في بعض أوامر الشرع، وقد لا تظهر في البعض الآخر.

- لأن عقول البشر القاصرة قد تدرك تلك الحكمة وقد لا تدركها.

- وليس معنى عدم إدراك الحكمة في التشريع أن الحكمة غير موجودة، بل لله تعالى الحكمة البالغة في كل أوامره وقضائه، وإن كنا لا نفهمها كلها.

لا يشترط عقل ومعرفة الحكمة في التشريعات الإلهية حتى تؤمن بها:

﴿ قال الأصهباني: فنحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في ديننا من ذكر صفات الله تعالى، وسائر الغيبات التي أمرنا الله أن نعتقدها من عذاب القبر، والحوض، والميزان، والصراط، وصفة الجنة والنار،

فهذه أمور ورد الأمر بالإيمان بها، ولكن لا نستطيع أن ندرك حقائقها بعقولنا، فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين وعقلناه وفهمناه، فله الحمد والشكر، ومنه التوفيق، وما لم يمكننا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمناً به وصدقناه وإن لم نعقله، قال الله تعالى: ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] [الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٢١ وجاء مثله في الرد على الجهمية للإمام الدارمي ٣٠٨ والتدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٦ ومفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ١١٧ ومختصر الصواعق المرسله للموصلي ١/ ١٧]

ومثال التشريع الذي ندرك بعض حكمته:

تشريع الزكاة:

﴿ قال الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]

- فالصدقة تزكية لنفس المزكي من البخل والشح.
- وتزكية المال بإخراج حق الله تعالى فيه، وهي نداء للمال.
- وتزكية لنفس الفقير من الحقد والحسد للغني.
- وتزكية للمجتمع من الجرائم الناشئة عن الفجوة المالية بين الأغنياء والفقراء.

❊ وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٣٠]

- **فغض البصر أزكى** وأطهر لقلب المسلم من الوقوع في الشهوات وعشق ما لا يستطيع بلوغه، وما يتبع ذلك من التعلق الشديد بغير الله تعالى.

❊ وأما إذا جهلنا الحكمة من أحد التشريعات، فلا بد أن نؤمن أن هناك حكمة أو مجموعة حكم في هذا التشريع، ولكننا لا ندركها بعقولنا القاصرة، فإن الله تعالى منزه أن يشرع شيئاً عبثاً، أو لعباً، أو سُدىً.

— **فلا ينبغي أن نعارض التشريعات التي لم نعلم حكمتها برأي أو هوى.**

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]

- **فمن أعرض عن الهدى فلا بد أن يقع في اتباع الهوى.**

- **ويجب أن نصدق بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** [المائدة: ٣]



وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته وسلم تسليماً كثيراً
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

- منزلة العقل في تلقي أمور الدين ٢
- ١- ما هو العقل؟ ٢
- ٢- ما فائدة العقل؟ ٢
- ٣- والعقل السليم لا يتعارض مع النقل الصحيح ٣
- ٤- أسباب تعارض العقل مع النقل ٤
- ٥- وجوب تقديم النقل على العقل ٥
- ٦- لا يصح القياس مع النص ٥
- ٧- اكتمال الدين ٥
- ٨- أهل السنة لا يلغون العقل ٦
- ٩- الله تعالى جعل العقل لتدبر الآيات السمعية والبصرية، لا لتدبر الأمور الغيبية ٦
- ١٠- معنى الاعتماد على العقل هو إلغاء الوحي وهذا باطل ٧
- ١١- شبهات المخالفين ٧
- ١٢- إبليس أول من عارض النقل .. ٩
- ١٣- أتباع إبليس ٩
- ١٤- من أي هذه العقول المنحرفة نأخذ ديننا ١٠
- ١٥- طريقة أهل البدع ١٠
- ١٦- لقد كان لكم في إمامكم أسوة حسنة ١١
- مصدر تلقي العقيدة عند أهل السنة هو الكتاب والسنة ١٢
- ١- فأهل السنة يأخذون عقيدتهم من نصوص الكتاب والسنة ١٢
- ٢- وأما الفلاسفة ومن تبعهم فإنهم يقولون أن العقل هو مصدر التلقي ١٢
- ٣- والفلاسفة طعنوا في أحاديث الأحاد ١٣
- ٤- عادة البشر أن يتقبلوا تلقي الأوامر من خالقهم ولا يتقبلون تلقيها من بشر مثلهم ١٣
- ٥- نصوص القرآن تيسر على المخلوق معرفة الخالق ١٣
- ٦- صفة الرحمة بين الأشاعرة وأهل السنة ١٤
- ٧- أصل الفلسفة عند أصحابها هو التشبه بالإله على قدر الطاقة ١٤
- ٨- اتفاق أهل السنة واختلاف أهل البدعة ١٥
- عرفنا ربنا بالوحي لا بالعقل ١٧
- ١- فإن الله تعالى من الغيب ١٧
- ٢- وإن الله تعالى أمر بتدبر كتابه، لا بتدبر ذاته ١٧
- وجوب التسليم لحكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ ١٨
- معرفة علة الحكم لا تلزم للإبان بالحكم ٢١
- تشريع الزكاة ٢٢
- تشريع غُض البصر ٢٣